المناضل العميد علي عبدالله السلال يروي:

ذكريات نضالية .. وأحداث ووقائع تحكي عن تاريخ الثورة الخالدة

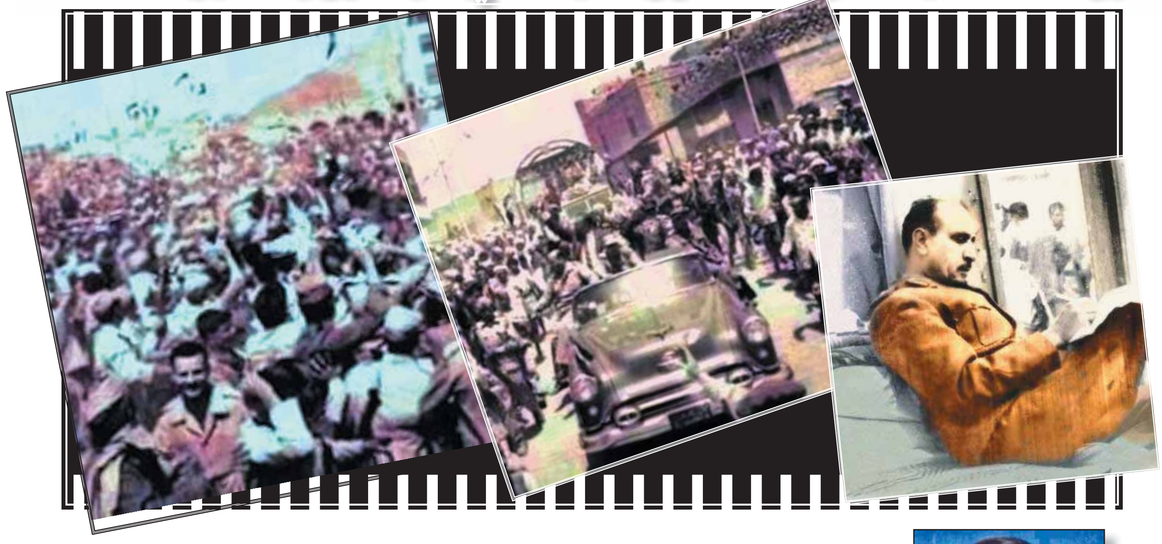

الأصدقاء من الصغار والكبار كانوا يقولون لي: هذا ابن الدستوري (الكلب).. وغالبا ما أتعرض للضرب والشتم والإهانة

■ العميد الركن محمد محمد محرم

المجتمع اليمني في عهود النظام الإمامي الكهنوتي ظل يعيش بيئة ممزقة متشرذمة تئن تحت وطأة الجلاد والقيود والسجون .. بيئة مشحونة بالظلم والاضطهاد .. والفقر والجهل والخوف والمرض والإرهاب.

فكان الوطن سجناً كبيراً ليس له أبواب .. فكم من المرضى والفقراء والجياع والمعدمين ماتوا.. وكم من البؤساء والنازحين عانوا ويلات الآلام والضياع والتشرد واللجوء إلى شتى بقاع العالم.. وكم من المناضلين والثوار والأحرار سجنوا واعدموا.

حالة مريعة .. قاتمة من الانكماش والانغلاق والانسحاب والتقليص والتسطيح والمصير الواحد الموت المحقق.

ظلت الأحلام والأماني طويلة .. وظل النضال والخروج من القنانة والعبودية والاستبداد والاستغلال والاستعمار أطول.. لكن الأمر الجوهري الوحيد والأهم نحو الانعتاق والتحرر كانت الثورة.

فكان الرفض للحياة الجامدة المستخدمة المستغلة التي تجر جراً ولاء حكام الكهنوت والطغيان وكان رفض الشعب بقيادة رواد الفكر والثورة والمناضلين والعلماء والمستنيرين وأبطال الحركة الوطنية.. ان يكونوا عدداً مهملاً أو ظلاً تابعاً أو خيالاً باهتاً .. أو صوتاً خافتاً ومخنوقاً.

فكان النهوض الأول ثورة 1948م مدرسة النضال الثوري التي فتحت ابواب النضال والعلم والمعرفة والذي رسم ملامحه الرعيل الأول ممن استشهدوا وسجنوا وعذبوا وشردوا للتخلص من كابوس العبودية والتسلط والجبروت وتحرير الإنسان وتحويل الحكم الفردي إلى شورى، من الظلم والمشانق والاعدامات والرهائن والسلب والنهب إلى الحرية والعدل والتقدم، من الملك العضوض إلى النظام الدستوري الرشيد.

وتواصل النضال حتى ثورة 1955م ليتوج النضال الوطني ببزوغ فجر ثورة 26 سبتمبر أقدس الثورات الوطنية في تاريخ اليمن المعاصر.

لتخرج الثورة إلى فضاءات الحرية والتقدم والعدل ويتحقق الانتصار الأعظم بالتضحيات الجسام والروح والدم. فثورة سبتمبر تظل حدثاً إنسانياً قبل كل شيء أحيت شعباً من تحت الأرض من الموت.. وانتزعته من ظلمات بعضها فوق بعض إلى النور.. الحرية الانعتاق الكرامة التقدم الوحدة والديمقراطية والنماء والأمن والاستقرار والمستقبل المشرق.

مناسبة مرور 51 عاماً على قيام هذه الثورة الخالدة التقت الصحيفة احد المناضلين من أبطال ثورة سبتمبر الذي تربى وترعرع في جذور أسرة يمنية مناضلة مشهود لها بالوفاء والنضال على كل المستويات ودون لتاريخ اليمن اسمها في انصع سجل الخالدين، ليس فقط كابن لاحد أبرز قادة الثورة السبتمبرية وأول رئيس للجمهورية اليمنية بعد انتصار الثورة وهو الزعيم الخالد المدون في وجدان وقلوب أبناء الوطن وتاريخ الثورة اليمنية وهو الزعيم الوطني المشير عبدالله السلال، فهو لم يكن مجرد ابن له فحسب، بل ظل جندياً وطنياً مناضلاً مدافعاً عن مبادئ وأهداف الثورة اليمنية حتى اليوم. ويكفينا فيه إنساناً مشاركاً وشاهد عيان على وقائع واحداث مهمة، انتصارات وتداعيات لمسيرة الثورة منذ انطلاقة 48م و55م و26 سبتمبر 62م.. انه العميد علي عبدالله السلال عضو مجلس الشورى .. الذي تحدث بشفافية ومصداقية ومسؤولية حول ظروف ومراحل ومخاض وتحديات وانتصارات ونجاح الثورة والوحدة والديمقراطية والتنمية، ووضع النقاط على الحروف بأفكار هادئة باطروحات جديدة ونوعية لتقييم مسيرة الثورة حتى الآن.. وكانت الحصيلة التالية:

النموذج الراقي لتبادل السلطة سلمياً

إن احتفالات شعبنا هذا العام بعد مرور 51 عاماً من قيام الثورة اليمنية الخالدة سبتمبر واكتوبر في ظل الأجواء الديمقراطية الرائعة وتهيئة الشعب اليمني لاستحقاقات الانتخابات الرئاسية والمحلية ليشكل نقلة نوعية جديدة حقيقية في محطات الثورة اليمنية ويقدم النموذج الراقي في التجسيد الخلاق لمبدأ التداول السلمي للسلطة المميزة بالروح الديمقراطية والشورى المشهودة لليمن حضارة وتاريخاً منذ القدم ويليب أهداف ومبادئ الثورة اليمنية.

وهذه الاحتفالات في ظل الحماس الديمقراطي باعتقادي تعكس التعبير الحقيقي عن الوفاء لتضحيات شهداء الثورة الأبرار.. انها بمثابة تمجيد وتخليد لذكراهم وتقدير لعظمة بطولاتهم.. فهي إذاً عرفان بكل الإسهامات والأدوار الوطنية للثوار الذين سقطوا دفاعاً عن الحق والحرية والجمهورية والتقدم الإنساني والحضاري في سبيل تحرير الوطن والوحدة والديمقراطية والتنمية الشاملة والأمن والاستقرار، وسيظل نضالهم نبراساً وسجلاً حافلاً بالدروس الحية التي يجب أن تتعلم منها الأجيال الصاعدة وأن نعززها ونسير على نهجها في كل مواقع العمل والبذل والعطاء لترسيخ النهج الوطني الديمقراطي الجديد، والبناء الشامخ الذي شيدته الوحدة الوطنية ودخلت معه عصراً جديداً من التحولات والتطورات المشرقة.

نواة الثورة وبذورها الأولى

والحقيقة أن الوضع السائد في اليمن قبل وبعد ثورة 48م قد وضع الوطن خارج طبيعة البشر، خارج التاريخ.. إذ انه انكر علينا حتى حقوق المواطنة البسيطة والعيش الحر الكريم بسلام وشرف وأمان. كان الاضطهاد والظلم والقهر والقمع والسجون والجلادون فوق إرادة الشعب والوطن، وقد وضع اليمن خارج الزمن على هامش مجراه وفي انعزال عن مسيرة الحياة الزمنية والتاريخية.. كان نظام الإمامة والكهنوت قد وضعنا في وضع حرمنا فيه في أن واحد من حق المواطنة في كل شيء في المكان والمعاصرة وفي الزمان.

لذلك قامت ثورة 48م بقيادة المشير السلال والقاضي الارياني وأبو الاحرار القاضي الزبيري ورائد الحركة الوطنية احمد محمد نعمان، وسجن والدي الزعيم المشير عبدالله السلال مع عدد من الثوار في سجن حجة الرهيب (ناغ) بعد ان كان له الدور الفعال والمشرف عندما اخذ احدى السرايا وقاموا بحصار دار الشكر الذي هو الآن المتحف الحربي.

وما كان من الإمام إلا ان قام بقتل واعدام الثوار ومنهم الشيخ البطل عبدالوهاب نعمان اكبرهم مقاماً ومواجهة ابو الأستاذ الفضول وهروب وتشريد الآخرين مثل الأستاذ الزبيري وحجز عدد آخر تحت الاقامة الجبرية في حجة، وتسليح القبائل.

نهب صنعاء بين عشية وضحاها

وأباح لهم مدينة صنعاء لإفشال هذه الثورة وتحطيم معنويات كل المواطنين ومن تسول له نفسه القيام بالثورة، وهكذا نهبت وسلبت صنعاء كل المقتنيات كل الأموال والأغراض والطعام وبصورة رهيبة وخبيثة وحاقدة.. عقاب جماعي جائر.. اتذكر انهم نهبوا حتى الدقيق من منزلنا وكل المنازل.. لم يبقوا اي شيء .. انتقاما من الاهالي لهذه الثورة.

كنت حينها في سن السادسة من العمر لم ابلغ سن الرشد بعد، وظللت في رعاية عمي محمد يحيى السلال الأخ الأكبر لوالدي.. أما العسكر فقد جاءوا للبحث والتفتيش عن الأسلحة والذخائر حسب قولهم انها معهدة عند والدي، وضربوا عمي بعنف وشدة ولم يجدوا شيئا.

كنت أنا وحيد والدي ويتيم.. لا انتظام في الدراسة ولا رعاية ولا شيء.. كنت أدرس في المدرسة الوحيدة في صنعاء (مدرسة الزمر) لتعليم الخط والحساب والأخلاق الحميدة والقرآن فقط.

لم تكن طفولتي سعيدة كغيري من أبناء صنعاء. تعرضت للاضطهاد والأذى حتى على مستوى الشارع كان يقول لي الأصدقاء من الصغار والكبار.. هذا ابن الدستوري (الكلب) وغالبا ما اتعرض للضرب والشتم والإهانة.. حتى عمي محمد.. الله يرحمه.. يقول لي ابن الدستوري الخبيث الذي خسرنا كل شيء إلا انه مسكين وطيب كان تاجراً وأصبح فقيراً، وهو الذي كنا من عمله في مهنة الخياطة.

صدقة الإمام بعد نهب صنعاء كدمة

بعد ان تعرضت صنعاء للنهب والذل والفقر والهوان بين عشية وضحاها قرر الإمام لكل أهالي صنعاء (صدقة) عبارة عن كدم عادية.. وكان الحسن أخو الإمام قد أمر بقطع الكدم إلى أربعة أقسام (أجزاء) حتى لا يستطيع أهالي صنعاء بيعها لشراء بيض أو خضار أو لحمة، وكنا نعود من العرضي سيراً على الأقدام إلى حدة بعد ان نكون قد أكلنا نصف الكدم من شدة الجوع والشتات وكان يتم اطعامنا الكدم على ماء (فاذر) لاننا لا نملك لا لحمة.. ولا حليبا ولا شيئا، وظليت على هذا الحال لفترة سنتين مع خالتي لان والدي طلق امي وتزوجت برجل آخر.. شقاء وبؤس وحرمان وتعاسة.. لا يصدق احد كيف كنا نعيش تلك الأيام العجاف ووالدي في سجن حجة.. كنا نعيش على الكفاف على الكدم، ولم يجرؤ احد مع الجيش الأردني عام 1940م وكان عددهم حوالي 40 ضابطا.

من شدة الخوف أكلت الرسائل وبلعتها

وقلت له انني مسافر إلى عند خالي يعمل حلويات في الراهدة.. وقال لي.. انتظر حتى تأتي الأوامر.. وفوجئت بوصول قائد الحرس الملكي محمد مرعي بسيارة (ولس صغيرة) وكانت في حوزتي رسائل من والدي إلى الأستاذ النعمان في عدن.. فمن شدة الخوف أكلت الرسائل ثم بلعتها حتى ظل عندي الأمساك طويلاً من جراء ذلك. وانزلوني إلى العرضي وكان الإمام جالساً في الديوان وسألني .. أنت ابن السلال .. قلت نعم.. قال.. ما تولد إنسان صالح أما والدي فيأخذ جزاءه في السجن.. قال.. اسحبوه.. شلوه.. للسجن، وهناك فوجئت أيضاً بمجموعة من الزملاء الذين كانوا معي في سجن حجة أمثال محمد الناصري وعبدالله حنش وعبدالله الكستبان ووجدت الشيخ عبادي شيخ مشايخ ماوية وشيخ مشايخ العدين مسجون هناك.. وظللنا في سجن تعز سنتين دون تهمة ودون محاكمة.. ولكن لفقوا لنا تهمة توزيع المنشورات والهروب إلى عدن.. أما بالنسبة لزميلي عبدالله صبرة فقد نجح بالهروب عن طريق ماوية لأن عمه كان عامل منطقة ماوية إلى عدن ثم إلى مصر.

ومن حسن حظنا وجدنا أناساً طيبين أمثال علي مانع ضابط الحرس الذي ساعدنا وقدم لنا الأوراق للإمام.. وينتفقد أحوالنا ويطمئنا، وكان معنا علي حمد أبو امة الرزاق وزيرة الشؤون الاجتماعية والعمل سابقاً ويعطف علي لعرفته بوالدي وكان يعمل مترجماً للايطالية وممرضاً مع الأطباء الايطاليين، كان يكلفني القيام بإعداد معاشات الأطباء وكنت قد درست الانجليزية في سجن حجة واعرف العد إلى المئات واحصل مقابل ذلك على خمسة ريال فرنسية تساوي الآن (500) الف ريال مع صرفة يومية وكان عمري حوالي 14 سنة، وأثناء ذلك احتكينا كثيراً بنوار 1955م وسكنا معهم أمثال شرف المروني والشهيد علي حمود السمة والبطل احمد الثلايا الذي كان يعطف علينا كثيراً مع بقية تكنات ضباط تعز لانهم كانوا أصلاً تلاميذ عند والدي سابقاً في صنعاء.

وفي عام 1953م خرجت من سجن تعز أثناء زيارة الملك سعود لليمن الذي اشترط وجود الإمام احمد في صنعاء بعد ان كان قد تركها نهائيا بعد ثورة 48م وذهب صنعاء.. وعندما جاء سيف الإسلام يرافق الإمام إلى صنعاء شكونا له الأمر وطلبنا ارسال برقيه له وفعلا اطلق سراح جميع المساجين وعددهم 15 شخصا، ونصيحة من الأستاذ نعمان توزعنا البعض إلى صنعاء وتعز وحجة وأنا إلى الحديدة حيث استقبلني نائب الإمام محمد الباشا احد ثوار 48م والأستاذ احمد جابر عفيف الذي كان مديراً للمدرسة السيفية هناك، واختيروني وطلعوني إلى مستوى ثالث ثانوي. وبعد سنة أتت البعثة لاختيار طلاب لكلية الشرطة برئاسة العقيد عبدالله حامد وتم اختياري مع زميلي المناضل يوسف الشحاري وعلي حميد شرف وزير الكهرباء السابق وعلي سعيد عبادي وآخرون بعد أن رفض أهالي الحديدة تسجيل أبنائهم وتم اختيار 12 فرداً ومعظمهم من طلاب مدرسة سجن حجة وهكذا نقلنا إلى تعز كنواة لطلاب كلية الشرطة.

مأساة حركة 55م كانت فرجاً لساجين حجة

قامت حركة الجيش عام 55م بقيادة المقدم البطل السياغي وآخرين من الضباط الأحرار.. وكانت هذه الثورة رغم ماساتها وفشلها فرجاً لجميع مساجين حجة من ثوار 1948م بعد ان قرر الإمام القضاء عليهم بالموت البطيء.. كانت الفائدة ان وصل البدر إلى حجة واطلق سراحهم بعد ان جاء باسم الدفاع عن والده .. لان والده الإمام احمد هرب إلى حجة في ثورة 48م الدستورية وسلح القبائل وأعطاهم الذهب والمال وأباح لهم مدينة صنعاء واقتلوا الثورة وهرب إلى تعز.. كان البدر هدفه إفشال حركة الجيش عام 55م في تعز من حجة لكن أبوه كان لئيم وشاطرا وأذكى منه استطاع بنفسه عن طريق توزيع الذهب على الشاويش المحجاري شاويش القلعة وهو من حاشد ضرب تكنات الجيش والفرن حق الكدم وقطع الماء وحاصر الثوار من خلال الأربعة المدافع التي كانت موجودة في القلعة مما اضطر الثوار إلى الهروب والتسليم وتم القبض على قائد حركة 1955م البطل الزعيم الثلايا وتم إعدامه أمام الجماهير.. أما الشهيد عبدالله باكر الذي كان يشير عليهم بقتل الإمام ويقول يجب ان نتفذى به قبل ان يتعشى بنا.. ذبحه ذبحا بواسطة جزار وبشناعة .. فالثوار الذين رفضوا قتل الإمام كابوه الإمام يحيى.. قام الإمام احمد بقتلهم جميعا.

وكان بالنسبة لنا أول منظر نشاهده جثة بدون رأس، وكنا في السنة الأخيرة للتخرج من كلية الشرطة.. كنا انصار الثلايا وكان جزاؤنا قطع المعاشات شهرين كاملين إلا ما كان يقدم لنا من مدرسة الاحمدية.

وعندما افشل الإمام حركة 55م جاء البدر إلى تعز ليبارك لوالده استعلمنا كسب عطفه واصدر أمر الترقية لنا برتبة ملازم ثاني وكنا حوالي 53 ضابطاً أكثرهم ثوار ضباط ثورة 26 سبتمبر المجيدة البارزين أمثال الرحومي وعلي صالح الأشول ويوسف الشحاري وعلي عبدالله السلال واحمد خليل وآخرون.. ثم التحقنا بالكلية الحربية. مدرسة الاسلحة. في صنعاء التي شكلها حمود الجائفي حيث درسنا الأسلحة الروسية التي استخدمت ليلة ثورة 26 سبتمبر، وكانت لدينا الأسلحة الروسية وتكتيف التربية العسكرية والدروس الوطنية والتدريب وتشكيل تنظيم الضباط الأحرار والتحالف بالحركة الوطنية والنضج الثوري والسياسي وعقم النظام الملكي.

تنفيذ خطة اعتقال الشخصيات الإمامية وأمراء الجيوش

كانت مهمتي ليلة قيام الثورة اخذ المدرعة رقم (1) والقيام باعتقال كل الشخصيات الإمامية والسياسية وامراء الجيوش الذين يشكلوا خطراً على الثورة وتم اعتقال 53 شخصاً حسب القائمة، والواقع ان تنظيم الضباط الأحرار وخلاياه كان في غاية السرية وقد استفاد كثيراً من التجارب السابقة واستوعب فلسفة الطغيان الرجعي في قمع وإذلال الأحرار وإعدامهم.

وقد تحمل الجميع مسؤوليتهم الوطنية خاصة بعد ان فاجأنا موت الإمام احمد وإعلان البدر السير على طريق والده فهب الجميع لمواجهة الحكم الفردي الإمامي والاطاحة بالظلم لتغيير الواقع الاجتماعي المتخلف خاصة بعد ان علمنا ان الحسن قادم والأمراء داخل صنعاء.. ولو تولى الحسن الحكم لاعاده إلى الوراء الف سنة رجعي متخلف متزمت حافد متعصب عكس البدر المتطور المتحضر المصلح فهو الذي عقد صفقة السلاح الروسي وعمل طريق الحديدة والميناء مع الصين.. ولكن كان الأمر بتصفية البدر والجميع.

ومنذ ثالث يوم لقيام الثورة خرجت إلى ساحة المعارك والقتال أكثر من 40 جبهة حتى أواخر 67م وكنت قائد حملة الطويلة وشبام والمحويت ثم قائد محور أنس وقائد جبهة المحابشة ثم قائد محور خولان الشرقي ثم قائد لواء الحديدة وقائد لواء حجة ومدير كلية الشرطة ومدير الإذاعة ثم قائد محور خولان الشرقي مرة أخرى حتى نهاية 66م عينت سفيراً في الاتحاد السوفيتي وبعد فشل مؤتمر حرض وانتصار الجمهورية على الجانب الملكي تم عقد صفقة الطيران مع الروس لحسم المعركة وفك حصار السبعين وانتصار الجمهورية.

الثورة .. وتشكيل الوعي الوطني

طبعاً هناك جيل جديد ولد بعد الثورة لا يمتلك المعرفة والدراية والأسباب والمسببات لقيام الثورة والتحديات التي واجهتها .. ونحن اهملنا في إعادة تربيته.. وبذلك جنينا على الجيل الجديد جناية كبيرة لانه حصل تجهيل متعمد عن الثورة واهدافها ومبادئها وحصل تعتيم على كل ادوار الأبطال والثوار والشجعان والمناضلين منذ قيام ثورة 48م حتى الآن .. طبعا كل ما حصل من إنجازات وتقدم لا يمكن مقارنته بالماضي السيئ كله سلبيات ولا يوجد لبيت حميد الدين أية إيجابيات.. لم يقدموا اي شيء لليمن فكانت الثورة ضدهم بسبب التخلف والجهل وحتى ثورة 48م جاءت بعد ان نصحوا الإمام يحيى لما تعبوا.. ثم ثورة 55م نصحوا الإمام احمد لما تعبوا.. وثورة 26 سبتمبر 62م النتيجة الحتمية لظلم واضطهاد الشعب لذلك قامت الثورة لتطوير وتحضير اليمن وإيجاد حياة كريمة للجماهير المظلومة والمسحوقة وبناء نهضة تنموية تؤهل البلاد للحاق بركب الحضارة الإنسانية وتحقيق العدل والعلم والمعرفة.

غياب التحليل والتقييم لمسيرة الثورة

مشكلتنا مع جيلنا الجديد هو انه لا يعرف شيئاً عن الثورة فالاحداث والمتغيرات لتاريخ مسيرة الثورة وما افرزته من تأثيرات ذات طابع سلبي في تشكيل الوعي الوطني لدى بعض الفئات وتشكل وعي مغاير لديها يتنافى مع قيم الثورة ومبادئها إنما يضع الثورة والوحدة كالديمقراطية امام تحد من نوع جديد آخر.. فاذا سألناه من هو أول رئيس للجمهورية اليمنية يقول: «علي عبدالله صالح»، ثم من هو الذي قام بالثورة يقول هادي عيسى!! من كذا.. الخ ونحن نطالب الرئيس والحكومة بفرض حصة تربية وطنية للطلاب لانه حتى عندما كنا في سجن حجة كانوا يدرسوننا تاريخ الإمامة وتاريخ الثورات التحررية الوطنية وغيرها، وكذا بعد قيام الثورة كان يدرس تاريخ الثورة اليمنية سبتمبر واكتوبر والضباط الأحرار.. الخ.

ثورة 1948م مدرسة النضال الثوري التي فتحت أبواب النضال والعلم والمعرفة وتواصل النضال حتى ثورة 1955م ليتوج ببزوغ فجر ثورة 26 سبتمبر

سجن حجة قبل ثورة 26 سبتمبر كان مليئا بالعلماء والأدباء والشعراء والأحرار والثوار

العيد الـ (51) لثورة الـ (26) من سبتمبر
اليمن الجديد يعني يمناً آمناً مستقراً، لا مكان فيه للفوضى

العيد الـ (51) لثورة الـ (26) من سبتمبر
في اليمن الجديد .. لا أحد فوق القانون